

الإنجازات والحريات

إنجازات عصور الاحتلال

ليس هناك عصر من العصور إلا له منجزات حتى في وقت الاحتلال والقهر ولو عددنا مثلاً المنجزات التي تمت إبان الحملة الفرنسية لنجد أنها كثيرة جداً :

- في مجال السياسة والحكم : كان نابليون غريباً عن المجتمع المصري ، وكانت معرفة المجتمع ضرورية بالنسبة لتخطيط سياسات الحكم فقد رأى خير وسيلة لبلوغ هذا الهدف الاتصال مباشرة بطبقة العلماء والأعيان لما لها من نفوذ ومكانة مرموقة بين الأهالي ، ومن خلالهم وبواسطتهم يستطيع تقرير ما يراه ، ومن هنا كانت فكرة دواوين العاصمة والأقاليم ثم الديوان العام . ولا شك أن فكرة الدواوين نبّهت المصريين إلى فكرة المشاركة في الحكم بدلاً من فكرة الحكم المطلق المستبد .

- في سبيل إصلاح حال الفلاحين تم إلغاء كافة الضرائب التي ابتكرها الملتزمون والبكوات المماليك ، وتقرير ضريبة واحدة تقوم على حساب عدد أفدنة الحيازة ، وحسب درجة الجودة ، وتحرير الفلاح من جميع القيود المالية والقضائية ليصبح في مقدوره أن يتصرف في الأرض التي في حوزته ، فالفلاحون هم ملاك الأرض، وأن جميع ملاك الأرض لهم مطلق الحرية في أن يزرعوا ما يشاءون .

- في مجال الزراعة : تم دراسة مجرى نهر النيل ، وفحص القنوات والجسور ، وإجراء التجارب لزراعة البن وقصب السكر ، والاهتمام بزراعة الأرز والقمح والذرة وغيرها من الغلات الموجودة فعلاً .

- في مجال الصناعة : تم إنشاء مصنع للنسيج ، والحدادة ، وصناعات الساعات، والدباغة ، وصناعة الطباعة ، كما تم إنشاء طواحين هواء ، وإصلاح دار الصناعة (الترسانة) .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

- في مجال التجارة : تم إحياء التجارة التي ركدت ، وفتح أسواقاً لمصر في بلاد البحر الأحمر حيث سارت المراكب بين جدة وينبع والسويس محملة بالأنسجة القطنية والشيلان الصوفية والحرائر والبن .

- في مجال الصحة العامة : تم إنشاء محاجر صحية في القاهرة والإسكندرية ودمياط ورشيد من واقع دراسات المجمع العلمي ، وأنشئ مستشفى عسكري .

- في مجال القضاء : تم تغيير نظام القضاء الشرعي المعمول به آنذاك وجعل العلماء المصريين يتولونه بطريق الانتخاب فيما بينهم بدلاً من القضاة الأتراك .

- في المجال الفكري والعلمي : أقام نابليون المجمع العلمي المصري ، ومهمة المجمع كما حددها نابليون العمل على تقدم العلوم والمعارف في مصر ، ودراسة الطبيعة والصناعية والتاريخية ونشرها ، وإبداء الرأي العلمي للحكومة في المسائل التي تستشير فيها وبعبارة أخرى ربط السياسة بالعلم .

وقد تمكن المجمع العلمي المصري خلال فترة الحملة من إقامة مطبعة عربية وأخرى فرنسية، وإنشاء جريدتين فرنسيتين إحداهما سياسية، والأخرى علمية اقتصادية.

لقد كان وجود المجمع العلمي بكل إنجازاته نافذة أطل منها المصريون على ما يدور في أوروبا من تقدم في العلوم وفي الأفكار السياسية الاقتصادية .

وهناك ثلاثة أعمال كبرى قام بها علماء الحملة :

١- محاولة شق قناة تربط بين البحرين الأحمر والمتوسط .

٢- جمع معلومات ضخمة عن مصر في مختلف المجالات وبناء عليها صدر كتاب وصف مصر وهو أول موسوعة حديثة عنها .

٣- العثور على حجر رشيد مما مكن شامبليون من قراءة اللغة المصرية القديمة، وما ترتب عن ذلك من فتح أبواب التاريخ المصري القديم .

هذه المنجزات والإنجازات تمت في ثلاث سنوات فقط هي عمر الحملة الفرنسية ، وبرغم عدم استقرار أحوال الحملة في مصر أيام حكمها فقد واجهت ثورات المصريين، ومطاردة المماليك ، ومواجهة الإنجليز والعثمانيين ..

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

وهذه المنجزات لم تكن حباً في شعب مصر إنما رغبة في استغلال ثرواته ، تماماً مثل شركات البترول الغربية التي تنقب عن البترول في أرض العرب ليس حباً في العرب ولكن رغبة في الانتفاع بثرواته .

كما أن هذه المنجزات كانت على حساب حرية الشعب وكرامته ، فالشعب المصري يفضل الحرية مع شظف العيش على الرفاهية مع الذل والمهانة ؛ لذا ثار الشعب المصري ضد الفرنسيين حتى أجلوهم .

فإذا تحدثنا عن المنجزات التي تمت إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر فإنها تقدر بالمئات في كل المجالات : زراعية، وصناعية ، وتجارية ، واقتصادية ، وعلمية وثقافية .. فالإنجليز أنشؤوا شبكة سكك حديدية متميزة، ثاني شبكة سكة حديد في العالم، وأقاموا مجموعة متكاملة من القناطر والترع، بالإضافة إلى خزان أسوان، وألغوا السخرة في مصر. ومع هذا لم يكن غرضهم خدمة مصر بقدر ما كان هدفهم خدمة بقائهم، واستمراره . فهل رضي الشعب المصري عن الاحتلال الإنجليزي بسبب إنجازاته !!!

الحقيقة أن الإنجازات ليست هبة تمنح من محتل غاصب أو إرضاء لطموح حاكم مستبد إن الإنجازات الحقيقية هي التي تتبع من احتياجات الشعوب، وتهدف إلى تقدمها ورفقها، وتشارك طوائف الشعب في إنجازها مختارة غير مكرهة، حرة غير مقيدة.

والعجيب أن يثور الشعب المصري ضد كل محتل أجنبي وإن كان صاحب إنجازات في حين يستسلم للحاكم المحلي وإن سلبه حريته وعبث بمصيره .

يقول جمال حمدان: "إن المصري ليوشك أن يتصف بمتناقضة غير عادية إن لم تكن محيرة، بين سهولة الانقياد والخضوع للحاكم في مجال السياسة والداخل، وبين الشجاعة الوطنية الفائقة والصلابة العسكرية النادرة في مجال الحرب في الخارج، ولقد يرى العكس أنه لا تناقض حقيقي بين الصفتين بقدر ما هما متكاملتان بمعنى أن

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

العوامل والظروف التي جعلته سهل الخضوع للحاكم ويفضل السلامة في الداخل هي نفسها التي تجعله مقداماً فدائياً بالغ الجرأة في القتال في الخارج. (١)

وعن السلطة في مصر يقول د. أحمد عكاشة الرئيس السابق للجمعية العالمية للطب النفسي: " قد عشنا في عهد الاحتلال الأجنبي في عصر "استعمار"، وعلى يد أبناء جلدتنا عشنا عصر "الاستعمار"، نظراً لتهميش قيمة رأي الفرد وهذا الأمر يبدأ منذ سنوات الطفولة الأولى .. إن الحاكم لدينا يحاط بمنافقين، فنحن من نصنع الأسطورة ونؤله الحاكم فيما يوصف بأخلاق العبيد، فالمحيطون بالحاكم أو المسئول يمنعون عنه كل الآراء الصريحة التي قد تحمل نقداً له، فضلاً عن القمع والكبت لكل رأي حقيقي لا يتوافق مع الحاكم . " (٢)

موقف الشعوب الحرة من طغاتها

وأدانت الشعوب الحرة حكامها الطغاة - وإن صنعوا لها مجدها - وحطموا أصنامهم ومزقوا صورهم وكتبوا تاريخهم الحقيقي حتى لا يقتفي أحد أثرهم ولا يتخذ منهم زعماء، وتكرر المأساة.

فاهو ستالين زعيم الاتحاد السوفيتي - سابقاً - الذي قهر هتلر النازي وحقق نصراً كبيراً في الحرب العالمية الثانية لكنه سام شعبه سوء العذاب والنتيجة أنه أصبح رمزاً للدكتاتورية البغيضة وتوسيت كل أعماله .

حدث نفس الشيء مع هتلر النازي الذي حقق لألمانيا من الانتصارات ما يجعلهم يفاخرون به إلى أبد الآبدين ، ولكن الشعب الألماني لم يغفر لهتلر طغيانه وبطشه فكتبوا عنه أبشع ما يكتب عن رئيس ، وحرصوا أشد الحرص على تعليم أولادهم هذا حتى لا يخرج هتلر آخر ليس ذلك فحسب بل إنها اعتذرت لكل الشعوب التي أضررت بسببه ، وعوضت اليهود - ومازالت - عما جرى لبعض آبائهم وأجدادهم من إبادة على يد النازي .

(1) جمال حمدان " شخصية مصر " ج ٢ / ص ٧١١ دار الهلال .

(2) د. أحمد عكاشة برنامج " أحلام حقيقية " أذيع على قناة المحور الأحد ١٣ / ٢ / ٢٠١١ .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

وكذلك موسوليني الفاشي طاغية إيطاليا الذي ربما يرجع إليه السبب في انتشار الفاشية في الوطن العربي حيث قام بعض زعماء العرب بتطبيق تلك النظرية على شعوبهم لكن العجيب أن إيطاليا كفرت بالفاشية وقتلت موسوليني في حين أن شعوبنا العربية مازالت تتحني أمام تماثيل زعمائهم الفاشيين ويترحمون على عصورهم عصور الأمجاد !!!

إن الفرق بين شعوب العالم المتحضر ، والشعوب المتخلفة هو أن الشعوب المتقدمة تعرف أنه ليس ثمة خطر عليها أكبر من الطغاة حتى الذين حققوا مجداً لبلادهم لأنه حتماً مع استمرار الطاغية أن تتحول كل انتصاراته إلى كوارث ، وتتحول المكاسب التي حققها لشعبه إلى أمجاد شخصية يستطيل بها على شعبه ، وتتحول الحرية وهي أغلى ما يملك الإنسان إلى عبودية وهي أسوأ ما يبتلى بها الإنسان ، وتتحول الطاقات المبدعة الخلاقة إلى طاقات معطلة هدامة لأن الإبداع والابتكار لا ينبت في أرض العبودية ، ولا ينمو وهو يتنفس هواء الاستبداد .

لكن للأسف الشديد وللأسباب التي ذكرناها فإن شعوبنا العربية قد عبدت طغاتها أحياء ، وقدستهم أمواتا !!

إنجازات رجال الثورة أم إنجازات عبد الناصر؟

إن من أوجب المهام التي تؤديها الحكومات المتسمة بالفعالية تحسين مستوى معيشة شعوبها بأن توفر لهم سبل الحصول على الخدمات الأساسية - كالصحة والتعليم والماء والصرف الصحي والكهرباء والنقل - وفرصة الحياة والعمل في سلام وأمن . وليس هذا تفضلاً منها على شعوبها بل واجباً عليها نحوهم ، ولكن النظم الدكتاتورية تؤمن بأنه لا حق للشعوب على حكامها إلا ما يتفضل به حكامها عليها تماماً كما هو حال السيد مع عبده.

قصة منجزات الثورة في المشروعات الخدمية بدأت تظهر بوضوح بعد الصراع الذي اقتحمه عبد الناصر لينتزع من محمد نجيب الحكم لذا شرع أعضاء مجلس قيادة الثورة

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

يتقربون أكثر من الجماهير ليس فقط عن طريق الخطب بل عن طريق إنجاز بعض المشروعات الجماهيرية ليكسبوا تأييد الجماهير في صراعهم على الحكم مع نجيب .

يقول خالد محيي الدين : " اتفقنا على ضرورة الإسراع بمشروعات بناء المدارس والوحدات الصحية في القرى كسبيل للحصول على المساندة جماهيرية في مواجهة أية أخطار أو أية تحركات سياسية مناوئة " (١)

وفي موضع آخر يقول خالد محيي الدين : " الاقتراب من الجماهير يتطلب عملاً متجهاً لتحقيق مصالحها ، أو على الأقل البعض من هذه المصالح ، وهكذا كان الإصلاح الزراعي ، ثم كانت النهضة الاجتماعية التي كرست من أجلها الأموال المصادرة من أسرة محمد علي ، حيث تم بناء مدرسة ووحدة صحية ووحدة اجتماعية في كل قرية ، كانت مصر في ذلك الحين تبني مدرسة في كل يوم، وتبني وحدات صحية على امتداد ريف مصر كله . " (٢)

ويجب أن نتوقف قليلاً أمام ما ذكره خالد محيي الدين لنستخلص منه عدة نتائج مهمة :

١- إن أعضاء مجلس الثورة - في ذلك الوقت - لم تكن تهمهم مصلحة الجماهير إلا بقدر ما تقوي مكانتهم في السلطة ، فإقامة المشروعات الخدمية لم تكن حياً في هذا الوطن بل كان هدفها تقوية نفوذ مجلس قيادة الثورة ضد نفوذ محمد نجيب ! أو لكسب الجماهير بعد ذلك .

٢- لم تكن المشروعات الخدمية التي أقامتها الثورة تامة التجهيز مكتملة الإعداد إنما في الغالب الأعم هي مسميات على غير مسمى فالمدارس مثلاً قال خالد محيي الدين أنه بُني في كل قرية مدرسة ، نعم بُني في كل قرية مدرسة إنما مدرسة هي أقل نفعاً من كُتّاب القرية الموجود - في غالب الأحيان - فهي مدرسة بلا إمكانيات ولا مدرسين مؤهلين وسوف نعود للتحديث عن نظام التعليم لاحقاً .

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مركز الأهرام للترجمة والنشر ٢٩٢ .

(٢) نفسه ٣٢٦ .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

٣- إن الأموال التي بنت الثورة بها هذه المشروعات الخدمية لم تكن فائض إنتاج أو عمل إنما كانت جزءاً من الأموال المصادرة من أسرة محمد علي وتأميم البنوك والمصانع والشركات .

٤- إن الذي قام بهذه المشروعات أعضاء مجلس الثورة في وقت أن كان القرار يؤخذ برأي أغلبية الأعضاء وقبل أن ينفرد عبد الناصر بالحكم ويحل مجلس قيادة الثورة ، أو عندما كان عبد الناصر الأول بين متساويين على حسب تعبير هيكلم .

يقول زكريا محيي الدين : " في الأعوام الأولى من الثورة خاصة عاميها : الأول ، والثاني كنا ناقش القرارات قبل إصدارها ونقوم بالتصويت عليها ولكن بعد ذلك اختفى مبدأ التصويت وأصبح القرار في النهاية لشخص واحد حتى ولو اختلفنا حول هذا القرار . وعلى سبيل المثال فقد كان قانون تحديد الملكية الزراعية والإصلاح الزراعي من القوانين التي تم التصويت عليها ، ولم يكن بيننا خلاف حول ذلك كما أن القرارات في بداية الثورة لم تكن تخضع لأفكار سابقة ، كنا نتعامل مع الظروف والأحداث التي نراها أمامنا وعلى ضوء هذا الواقع تكون القرارات والإجراءات التنفيذية . " (١)

والعجيب أن معظم المنجزات التي يفاخر به الناصريون وينسبونها لعبد الناصر وحده لا شريك له تمت في عهد محمد نجيب إبان أن كان رئيساً للجمهورية أو كان محمد نجيب قد خطط لإتمامها مع أهل التخصص لا أهل الثقة ، وما تم من هذه المنجزات بعد اعتقال نجيب جاء طفرة فجائية من أجل الدعاية السياسية ولم يأخذ حظه من التخطيط المحكم ولا من الدراسة المتخصصة مما أفقده كثيراً من مميزاته العملية وإن كان قد أدى دوره في الدعاية للزعامة الناصرية ، وفي ذلك يقول محمد نجيب : " بعد قانون الإصلاح الزراعي ، فرضت قانون تخفيض إيجار المساكن بنسبة ١٥ ٪ ، وألغيت الأوقاف - عدا الأوقاف الخيرية - وألغيت البوليس السياسي ، ورفعت مرتبات الجنود من ٦٩ قرشاً في الشهر حتى وصلت إلى ٣ جنيهات ،

(١) من لقاء فاروق جويده ، زكريا محيي الدين " من يكتب تاريخ الثورة ؟ " دار غريب ص ٤٨ .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

وسعت لتحرير الأزهر من قيود الارتباط بالحكم فأصدرت قراراً بحل جماعة كبار العلماء ، وبدأت مواجهة شرسة من أجل تحديد النسل ، وتخفيض حجم المشكلة السكانية ، وسعينا لإدخال مياه الشرب والجمعيات التعاونية والوحدات الصحية في القرى ، وشددنا العقوبة على الاتجار بالمخدرات ، وقرأت مقالاً للدكتور سيد عبد الواحد يتوقع فيه أن تحدث أزمة خانقة في المواصلات والمرور إذا لم نسارع بالتخطيط لمواجهتها ، واقترح د. عبد الواحد أن ننفذ مشروع مترو الأنفاق وطلبت من وزير المواصلات أن يناقش فكرة د. عبد الواحد لنرى كيف يمكن تنفيذها لكن ضاعت الفكرة بعد أن اعتقلت ، ولم يؤخذ بها إلا في الثمانينات ، وكنت من أنصار تنوع مصادر الدخل القومي ، وألا نعتمد على الزراعة كل هذا الاعتماد الكبير كنت مع التصنيع ، ولكن ليس مع هذا التصنيع الفجائي الضخم الذي دفعنا إلى إهمال الزراعة، وتحولت مصانعه إلى دعاية سياسية وخسائر اقتصادية ، ولقد حددت في ١١ أكتوبر ١٩٥٢ سياستي الاقتصادية أثناء اجتماعي في الغرفة التجارية مع رجال الاقتصاد والمال والصناعة فقلت لهم : أولاً، العمل على الاستقرار الاقتصادي بتركه للمختصين ليدرسوه ويضعوا الأسس اللازمة له . ثانياً، العمل على تشجيع استثمار رعوس الأموال الأجنبية ورعوس أموال الأفراد داخل القطر لتستثمر في الأوجه النافعة لتنمية الاقتصاد وتقويته ، كما نعمل على تشجيع الأفراد والهيئات ليزداد نشاطها الاقتصادي وبالتالي يزداد نمو الثروة القومية وهذا هو الركن الأول من نهضتنا . وبالطبع انقلبت كل هذه الأسس بعد أن أُقِلْتُ من الحكم ، فزع رأس المال الفردي ، وأصبح العمال هم القادة ، ولم تعد هناك ضمانات للاستقرار أو للاستثمار ، كل شيء كان ينفذ بأسلوب الطفرة ، وضاع أهل الخبرة وجاء أهل الثقة ، ودخل الضباط كل المشروعات والمرافق . إن المشروعات التي أقيمت في الستينات كانت بلا تخطيط ، وبلا كوارر تديرها ، كانت مباني بلا معنى ، وكانت دعاية لا ضرورة اقتصادية ،

ووصل التزوير في بعضها إلى حد الإعلان عن إنتاجها السنوي دون أن يفتح المصنع أصلاً . حتى المشروع الضخم المسمى بالسد العالي كان الاهتمام بالجانب

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

السياسي والدعائي فيه أهم وأكبر من الجانبين : الاقتصادي والفني ، كان لابد أن نقيم المشروعات المكملة له وإلا فقدنا الكثير من المميزات التي كنا نتمتع بها قبل بنائه وهذا ما حدث فعلاً فجاءت مميزات السد أقل من عيوبه لقد كانت الدراسة الفنية وجدوى مشروع السد العالي أمامنا وأنا لا أزال بعد رئيساً للجمهورية ونبئت في رأسي فكرة إرسال بعثات اقتصادية إلى مختلف دول العالم بما فيها الدول الاشتراكية للاطمئنان على إمكانية تمويله بلا متاعب ، وأعدنا دراسة لكل مشروعاتنا وأرسلناها إلى مختلف الدول بما فيها الاتحاد السوفيتي ، وافتتحت بنفسى معرض ألمانيا الديمقراطية التي أبدت استعدادها لتوريد مصانع كاملة لمصر ورصدت دخل المعرض كله للجمعيات الخيرية المصرية ، إنني كنت مؤمناً بضرورة مصارحة الشعب بكل شيء ؛ فالتحول الاجتماعي بدون حرية خراب ، والتحول الاجتماعي بدون ديمقراطية هبة من الحاكم يمكن أن يسحبها ، وفي كل قرار كنت أتخذه كنت ألجأ للخبراء وأهل المعرفة . إنني لم أكن أرى إلا مصلحة مصر ، وفي سبيل هذه المصلحة ضحيت بكياني وأحلامي وأعصابي إن شعار " مصر فوق الجميع " كان شعاراً حقيقياً في عهدي ، ولكن الشعار انقلب تماماً في أيام أخرى تلت اختفائي من على المسرح " (١)

وعليه فما قامت به الثورة من إنجازات كإصدار قانون الإصلاح الزراعي، على ما به من مآخذ، وإنشاء الكثير من المدارس، وإن كان على حساب جودة التعليم، وكذا إنشاء الوحدات الصحية ، وكهربية خزان أسوان، والإعداد لبناء السد العالي، واتفاقية الجلاء . إلى آخر ما ينسبه الناصريون والقوميون من إنجازات لعبد الناصر وحده هي في الحقيقة إنجازات لمجلس قيادة الثورة الذي كان برئاسة محمد نجيب ولم يكن عبد الناصر إلا أحد أعضائه، وكان اتخاذ الرأي فيه بالأغلبية.

كما لا ينبغي أن نغفل دور الوزراء المدنيين والمستشارين الذين استعانت بهم الثورة في تحقيق هذه الإنجازات.

(١) لمزيد من التفصيل راجع الفصل الثالث عشر " بداية التحول الاجتماعي " من كتاب محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " مرجع سابق .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

يقول أنور السادات : " كانت حصيلة أراضي العائلة الملكية المصادرة ٧٠ مليون جنيه أنفقناها على بناء الوحدات المجمعّة والمستشفيات والمدارس في ريف مصر بحيث كنا نبني ٣ مدارس كل يومين ، وأذكر أننا بنينا في سنة واحدة قدر ما بُني في مصر من مدارس خلال ٢٠ سنة .

أنشأنا عند ذاك مجلسين . أحدهما للإنتاج والآخر للخدمات ، أما مجلس الإنتاج فقد بدأ عمله بمشروع "كيما" للسجاد وعندما تعود بي الذاكرة إلى تلك الأيام أرى أمام عيني المهندس اليوناني الأشعث الشعر زائغ العينين الذي كان يتردد علينا في القيادة بالعباسية في أي وقت وبدون سابق ميعاد ، كان اسمه على ما أذكر " دانيوس " وكان في كل مرة يقتحم مقرنا يتفوّه بعبارات محمومة فحواها دائماً فكرة واحدة وهي أن النيل عند منطقة أسوان يجب أن يغلق بسد عالٍ .

كان تمسكه بالفكرة وإلحاحه عليها مما دعانا إلى أن نكلف مستشار المجلس المرحوم المهندس محمود يونس بدراستها ، وقد عاد إلينا بعد فترة ليقول إنه بعد الدراسة والمعاينة يرى ابتداءً أنها فكرة رائعة ، وهكذا نشأت فكرة السد العالي ، وليدة للإيمان والحماس والبصيرة كما تنشأ كل الأفكار العظيمة .

وفي سنة ١٩٥٣ بدأنا أيضاً إنجاز مشروع قديم ظلّ يتلّكأ بين حكومات الأحزاب المختلفة وهو مشروع كهربية خزان أسوان .. ولعل المشروع الذي غير وجه المجتمع المصري والذي جعل ثورتنا ثورة حقيقية لا مجرد انقلاب عسكري هو مشروع الإصلاح الزراعي ، فبعد أن ترك علي ماهر الحكم في سبتمبر ١٩٥٢ وتولى الوزارة محمد نجيب مباشرة كان أول عمل للوزارة الجديدة تحديد الملكية الزراعية بـ ٢٠٠ فدان وللتاريخ فإن الذي صنع هذا القانون بجميع تفصيلاته هو المهندس سيد مرعي .^(١)

لاحظ صيغة الجمع التي يتحدث بها خالد محيي الدين والسادات والتي تدل على أن العمل كان جماعياً : مجلس قيادة الثورة مع الوزراء والمستشارين المدنيين الذين لم تخلُ منهم أي وزارة حتى ولو كانت عسكرية .

(١) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " مرجع سابق ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

الشرق وعبادة الفرد

ونسبة كل إنجاز لشخص واحد فكرة قديمة أشهر من قام بها الشيعة مع علي بن أبي طالب فنسبوا إليه علم النحو وعلم التفسير وعلم الفقه كما نسبوا إليه علم الفلك والنجوم .

يقول الأستاذ أحمد أمين : " إسناد كل فضل وكل علم إلى علي بن أبي طالب إما مباشرة وإما بواسطة ذريته .. فأبو حنيفة أخذ العلم عن جعفر الصادق .. وينسب فقه الشافعي إلى الإمام علي ، وكذلك مالك ، بل فقه عمر بن الخطاب يرجع إلى علي لأنه يرجع إليه في كل مسألة من المسائل ، وتفسير القرآن أخذ أكثره عن ابن عباس وهو أخذه عن علي .. وأبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو أخذه عن علي بن أبي طالب .. وعلى الجملة فليس هناك علم إلا وأصله علي بن أبي طالب كأن العقول كلها قد أجدبت وأصيبت بالعقم إلا علي وذريته وعلى رضي الله عنه من ذلك براء " (١)

ويقول الأستاذ العقاد عن انتحال غلاة الشيعة كل العلوم لعلي رضي الله عنه:

" فقلَّ أن سمعنا بعلم من العلوم الإسلامية أو العلوم القديمة لم ينسب إليه - أي لعلي رضي الله عنه - ، وقلَّ أن تحدَّث الناس بفضل لم ينحلوه إياه ، وقلَّ أن توجه الثناء بالعلم إلى أحد من الأوائل إلا كانت له مساهمة فيه .

نحلوه ديواناً من الشعر فيه عشرات من القصائد ، وليس بينها إلا عشرات من الأبيات تصح نسبتها إليه ..

ونحلوه علماً سموه " الجفر " وزعموا أنه علم النجوم والأزياج (٢) الذي يكشف عن حوادث الغيب إلى آخر الزمان .. " (٣)

(١) أحمد أمين " فجر الإسلام " ص ٤٣٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) الزيج : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يُعرَف منها سير النجوم ، ويُستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة " المعجم الوسيط .

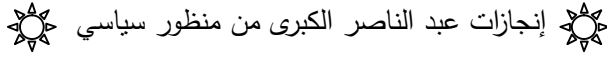
(٣) عباس محمود العقاد " عبقرية الإمام " ص ١١٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

وكما نسب غلاة الشيعة لعلي بن طالب رضي الله عنه كل فضل نسب غلاة الناصرية لعبد الناصر وحده لا شريك له : الإعداد للثورة وإنجاحها ، طرد الملك وإسقاط الملكية ، طرد الإنجليز وتحقيق الجلاء ، إصدار قانون الإصلاح الزراعي والقضاء على الإقطاع وسيطرة رأس المال ، إلغاء الأحزاب والقضاء على فساد الحكم، إنشاء المدارس ، ومجانية التعليم ، إقامة المصانع المنتجة والشركات الربحية ولولا عبد الناصر لظل الملك الفاسد ، والاحتلال الإنجليزي الغاصب ، وما تعلم فقير ولا عولج مسكين فهو الذي قضى على الثلاث الرهيب الجهل والفقر والمرض !!

والعجيب أن يؤمن بهذا الكلام ليس العامة فقط الذين نشئوا وتربوا وتعلموا في ظل الحقبة الناصرية (وهم غالباً الذين ولدوا في الفترة ما بين سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٦٥) إنما كثير من المتعلمين والمتفقيين !!

يقول السادات عن الخدمات في العهد الناصري : " في سنة ١٩٦٥ كانت حالة البلاد الداخلية قد وصلت إلى مرحلة يرثى لها فعلي صبري كرئيس للوزراء لا يتخذ قراراً في أي شيء ؛ لأنه بطبعه يخشى المسؤولية وربما لهذا السبب وقع اختيار عبد الناصر عليه ؛ فعبد الناصر بطبيعته الديكتاتورية كان يتطلب من رئيس وزرائه أن يكون مجرد مدير مكتب ينفذ أوامره وحسب ، وهكذا كان علي صبري فإذا أضفنا إلى هذا ميله الطبيعي إلى التجسس على الناس وتدبير المؤامرات والعمل في الخفاء لأدركنا سر تبرم الناس به ، فماذا يمكن للبلد أن تستفيد من حكومة هذا شأن رئيسها . ومما جعل الحالة تزداد سوء أن مشاكل الخدمات عندنا من تليفونات ومواصلات وإسكان وخلافه أخذت تؤجل ابتداءً من سنة ١٩٦٢ على أساس حلها بخطط طموحة لم تكن قابلة للتنفيذ ، مما جعل هذه المشاكل تزداد وتتراكم سنة بعد سنة بحيث أصبح من العسير حلها ، وكان العذر الذي يتذرع به المسؤولون في هذا أن الخدمات والمرافق يمكن التضحية بها في سبيل إقامة مصانع للإنتاج المشترك مع السوفييت . في نفس السنة قطع جونسون المعونة الأمريكية عن مصر فرضعنا في موقف حرج إذ كشف بهذا خططنا فقد كنا معتمدين على أمريكا في القمح الذي كنا نستورده منها



بالجنيه المصري فيوفر لنا حوالي ٨٠ مليون جنيه إستراتيجي نستفيد منها في مشاريعنا^(١)

إنجازات عبد الناصر هل تصلح للتطبيق اليوم ؟

إن هناك بعض ما عدّه الناصريون من إنجازات عبد الناصر بمرور الزمن اتضح أنها من كوارثه مثل التأميمات الجائرة التي تمت دون محاكمات عادلة مما أثر تأثيراً على حجم الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية كذلك ، كذلك تخفيض إيجار المساكن ، والقضاء على ظاهرة " خلو الرجل " وهذان القراران قد تسببا في أزمة السكن التي ظهرت ابتداءً من السبعينات ومازالت مستمرة حتى اليوم، بسبب إجماع المستثمر المصري عن استثمار أمواله في مجال التعمير والبناء لارتفاع تكاليفه وانخفاض العائد منه .

يقول د. أسامة الغزالي حرب أستاذ السياسة والاقتصاد والسياسي المعروف:
" بالرغم من الإنجازات التي تمتع بها الشعب المصري وقت عبد الناصر نتيجة الآثار المباشرة لكثير من القرارات الاجتماعية الاقتصادية ما لبث أن ظهرت آثارها السلبية الفادحة في العقود والأجيال التالية ، فالتأميمات وبناء القطاع العام التي استمتع الشعب بثمارها في الستينات ما لبثت أن ظهرت آثارها السلبية مع ترحل القطاع العام وتمكن البيروقراطية منه ، وربما النتائج السلبية أكثر وضوحاً في مثال السياسة السكانية ، ففي أيام عبد الناصر استمتعت الطبقات الوسطى بالذات بتخفيض إيجارات المساكن والمدن والقضاء على ظاهرة " خلو الرجل " بالترهيب الإداري والأمني ، ولكن عيوب هذه السياسة لم تظهر إلا بعد ذلك حينما أحجم القادرون عن بناء المساكن ! ولم تستطع الحكومة وحدها مواجهة الطلب عليها مما نجمت عنه - بعد عهد عبد الناصر - واحدة من أسوأ أزمات السكن في مصر ، وما تزال بعض تداعياتها قائمة حتى الآن " .^(٢)

(١) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " مرجع سابق ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) د . أسامة الغزالي حرب " جمال عبد الناصر قراءة جديدة في ذكره الثلاثين " مرجع سابق ص ٢٨

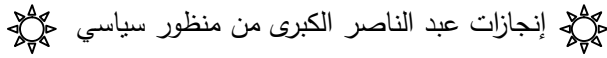
✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

وفي موضع آخر من كتابه عن عبد الناصر في ذكره الثلاثين يقول: " ظل رأس المال الضروري للاستثمار شحيحاً وسالماً في آخر سنوات عبد الناصر ، وظل مستوى المعيشة لعامة الناس منخفضاً فزادت مثلاً نسبة فقراء الريف من ٢٣ % سنة ١٩٥٨ إلى ٤٤ % في أوائل السبعينات ، واستمر الفقر متفاقماً في المدن أيضاً ، ولم يترفع متوسط الدخل الفردي إلا بنسبة ٢.٧ % سنوياً وظلت تبعية الاقتصاد قائمة بل ازدادت تفاقماً ، وظلت الصادرات المصرية في معظمها من المواد الأولية مع فارق أن النفط أخذ مركز الصدارة محل القطن ، وازداد العجز في توفير المواد الغذائية محلياً ، وتضخمت أعباء الدولة المالية ، وظلت الزراعة عام ١٩٧٠ هي القطاع الإنتاجي الأكبر - باستثناء البترول والغاز - وتستوعب أكبر نسبة من الأيدي العاملة ٥٧% ولم تتعد حصتها من الناتج القومي ٢٨ % أي لم تعد الإنتاجية الزراعية سنة ١٩٧٠ أفضل مما كانت عليه عام ١٩٥٢ ، وأخيراً فقد طرأ ركود على الاقتصاد المصري منذ عام ١٩٦٣ لازمه حتى وفاة عبد الناصر .

غير أن أكثر الجوانب سلبية في الخيار الاقتصادي لعبد الناصر قدمت باعتبارها فضائل وطنية واجتماعية في الستينات ، ونشعر الآن - ونحن في مقبلة القرن الواحد والعشرين - أن عكسها - بالضبط - هو المطلوب لنهضة الاقتصاد المصري.

ففي حين كان التخلص من المشروعات الأجنبية والاستثمارات الأجنبية من خلال التمسير علامة على الاستقلال الاقتصادي والعزة القومية في ظل عبد الناصر في الخمسينات فإننا اليوم عام ٢٠٠٠ نعي أن القدرة على جذب الاستثمارات الأجنبية ، وعلى التفاعل الصحي مع العالم الخارجي هي العلامة الأكثر دلالة على قوة الاقتصاد وحيويته !

وفي حين كانت سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج وهيمنة الدولة والتقليل من شأن القطاع الخاص علامة على السمة التقدمية للاقتصاد وعلى العدل الاجتماعي في الستينات فإننا اليوم - عام ٢٠٠٠ - نعي أن تشجيع القطاع الخاص ، والمبادرة



الفردية ، وضمان التنافس بين المشروعات ، وبعدها عن الاحتكار - هو الذي سوف ينعش الاقتصاد المصري ويدفعه إلى الأمام !

وفي حين سادت الخمسينات والستينات إستراتيجية (إحلال الواردات) باعتبارها أداة لتلبية احتياجات الجماهير وتوفيرها بأسعار معقولة فإننا اليوم - عام ٢٠٠٠ - نعي أن التوجه نحو التصدير ، والاستعداد لما يستلزم من كفاءة إنتاجية وتسويقية عالية (وليس مجرد الانكفاء على السوق المحلي) هو فقط ما سوف يهيئ الاقتصاد المصري للارتقاء إلى المستوى العالمي وتحقيق نقله له تتكافأ مع مستوى آمالنا وطموحنا .

وبمثل هذا المنطق الجديد يمكن أن نحقق الآمال والأحلام التي راودت عبد الناصر بشأن رفاهية شعب مصر وازدهار اقتصادها ، ولكن من خلال خيارات أخرى تختلف بالضرورة عما اختاره عبد الناصر منذ أربعة عقود ! " (١)

يقول فاروق جويده عن إنجازات ثورة يوليو : " إن كل الإنجازات مهما كانت عظيمة تبدو هزيلة في ظل غياب حرية المواطن وإحساسه بالأمن ، وكل الشعارات البراقة لا تزيل لحظة خوف ، أو إحساس بالمهانة ، وكل ما قرأنا من أهداف ثورة يوليو وهي جزء عزيز من حياتنا تلاشى أمام تعذيب مواطن أو الاعتداء على حرمة بيت أو إنسان .

من هنا نأتي إلى جوهر القضية وهو أن الشرعية الثورية التي حكمت بها ثورة يوليو مصر ينبغي ألا يكون لها مكان الآن وأنها نتجه بالفعل إلى شرعية دستورية يجب أن نكملها بحيث توفر الضمانات لكل الأطراف حكماً ومحكومين " . (٢)

إن كل الإنجازات مهما كانت عظيمة لا قيمة لها في ظل غياب الحرية وانعدام الإحساس بالأمان ، فالحرية والكرامة أثنى ما يملك الإنسان ، ويحرص عليه حتى وإن بذل في سبيلهما دمه وماله وراحته وكل عزيز عليه .

(١) د. أسامة الغزالي حرب " جمال عبد الناصر ، قراءة جديدة في ذكره الثلاثين " مرجع سابق ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) فاروق جويده " من يكتب تاريخ ثورة يوليو " دار غريب ص ١٠٩ ، ١١٠ .

يقول عنتره :

لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل

وأعود وأكرر إن هدف هذا الكتاب وكذا سائر كتب " فصول من تاريخ مصر المعاصر " ليس محاكمة أشخاص أفضوا إلى ما قدموا والله تعالى حسيبهم ، إنما الهدف استخلاص العبرة التي تفيد في فهم الحاضر وتعين على اتخاذ القرار الصحيح في المستقبل .

والله من وراء القصد و هو نعم المولى ونعم النصير .

الربيع العربي والثورة على الطغاة

كان عام ٢٠١١ هو عام الثورة العربية على حكم الطغاة حيث اندلعت ثورات عديدة في الوطن العربي لتتحو عار الذل والاستكانة والخنوع الذي جلتها لسنوات طويلة من الاستبداد والقهر وجعلها مضرب المثل في العالم كله بقبول الذل والسكوت على القهر، والاستسلام لحكم الطغاة ، على رأسهم جمال عبد الناصر الذي يعد المثل الأعلى لكل الحكام الطغاة في الوطن العربي .

بدأت الثورة العربية في تونس وسرعان ما اندلعت في مصر ومن مصر امتدت إلى اليمن وليبيا وسوريا وبلاد أخرى في الطريق إلا لم يتدارك حكامها الموقف ويسعون إلى إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية حقيقية ، و يبحثون عن مثل أعلى غير عبد الناصر ونظامه الذي حكم مصر نحو ستين عاماً - فإن الثورة سوف تطيح بهم.

لقد صبر الشعب المصري على الديكتاتورية التي ابتدعها في مصر جمال عبد الناصر طويلاً وتساهل في حقه كثيراً لكن جاءت اللحظة التي أدرك فيها أن السكوت أكثر من هذا خيانة ، والتقايس عن مقاومة المفسدين الذين تجاوزوا المدى جبن ؛ فهب شباب هذه الأمة الذين قرءوا وسمعوا وشاهدوا كيف تعيش الأمم المتحضرة ، وكيف يحيا العالم الحر وساءهم ما رأوا في مصر من كبت للحريات ، وتقايم للفقير ،

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

وغياب للعدالة الاجتماعية ، وفساد في الحياة السياسية، ولا أمل في الإصلاح في ظل
حكام خالدين ، ومسؤولين منتفعين فثاروا على كل هذا وثار الشعب وراءهم وحماهم
جيش مصر العظيم فكانت هذه الثورة المباركة .

وإذا كانت ثورة يناير قد أسقطت نظام عبد الناصر الذي حَكَمَ مصر نحو ستين
عاماً فهي تجاهد في سبيل إقامة نظام آخر خلفاً لهذا النظام ، ونحن في سلسلة
"فصول من تاريخ مصر المعاصر" نهدي ثورتنا: يناير ٢٠١١، ويونيه ٢٠١٣ دروساً
من ثورة يوليو ١٩٥٢ لتستفيد من إنجازاتها ، وتتجنب إخفاقاتها من أجل مستقبل
أفضل .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

obeikand.com

كتب للمؤلف

كتب دينية

- ١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي
- ٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيّدة ومنقّحة) دار زهور المعرفة والبركة
- ٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي
- ٤- المدارس السلفية، جدليّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة
- ٥- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمّ . دار زهور المعرفة والبركة
- ٦- عبقرية محمد للعقاد ، مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية وذكر مفتاح شخصية خير البرية . دار زهور المعرفة والبركة
- ٧- ضبط وتخريج الأحاديث النبوية لكتاب " على هامش السيرة لطف حسين " مع مناقشة أفكار الكاتب واتجاهاته الدينية . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

- ١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
- ٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو دار زهور المعرفة والبركة
- ٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسؤولية " " " " " " " "

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

- ١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض . دار هبة النيل العربية
- ٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي .

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

دار الإبداع للصحافة والنشر

- ٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيّدة ومنقّحة) " " " " " " "
- ٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن " " " " " " "
- ٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة " " " " " " "
- ٦- اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية " " " " " " "

كتب عن الثورة

- ١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ .
دار زهور المعرفة والبركة
" " " " " " " " "
- ٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير .
كتب عن الحضارة المصريّة
" " " " " " " " "
- ١- حضارات مصر ونهضاتها .
" " " " " " " " "
- ٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟
" " " " " " " " "

المؤلفات الأدبية

- ١- مهاجرون (قصص قصيرة)
دار زهور المعرفة والبركة
" " " " " " " " "
- ٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة)
" " " " " " " " "
- ٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة)
" " " " " " " " "
- ٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية)
" " " " " " " " "
- ٥- شهادات رموز ومعالم مصرية حديثة على بطولات مصرية مجيدة .
زهور المعرفة والبركة (قصص مصورة للنشء والشباب)

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽

كتب أطفال

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " " " "

توجد كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة على مستوى في العالم، ومعظم الجامعات العربية، ومعظم مدارس وجامعات مصر، وكتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية، والأجنبية والمواقع الالكترونية .
استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور المصريون " .

- قررت دولة قطر قصة " وردة المدرسة " على الصف الثالث الابتدائي .
التليفون المحمول: 01226406489

البريد الالكتروني: yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

صفحة المؤلف على [facebook](https://www.facebook.com/) باسم محمد يونس هاشم

✽ إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ✽